مجلة المجمع العلمي

الفتح العربي الاسلامي في بلاد الشام وشمال افريقيا

الدكتورة خلود مصطفى خماس

هيئة التعليم التقني

معهد الادارة / الرصافة

الملخص :

تناول البحث الفتح العربي الاسلامي في بلاد الشام وشمال افريقيا ، إذ جاء الاسلام ووحد العرب في الجزيرة ، ووجه طاقاتهم لتحرير الاراضي العربية من السيطرة الاجنبية ، تنفيذا لسياسة الرسول محمد (ε) ، فكانت قوة المسلمين تكمن في عزيمتهم على الثبات في عقيدتهم والتوحيد والجهاد من اجل اعلاء كلمة الله ونشر الاسلام ، وبسط الامن ، واستقرار العرب في المناطق المحررة ، ونشر ثقافة الاسلام وقيمه وتقاليده ، مع ضمان حرية الاديان الاخرى .

المقدمـــة :

بعد انتشار الاسلام ، في الجزيرة العربية ، عمل على توحيد القبائل العربية ، واخضاعها لسلطته المركزية ، فنظم قوة العرب وحشدها لغاية سامية ، وهي اعلاء كلمة الله تعالى ونشر الدين الاسلامي ، فقام الخليفة ابو بكر الصديق بتوجيه جهود العرب المسلمين وطاقاتهم نحو تحرير الاراضي العربية من السيطرة الاجنبية ، تنفيذا لسياسة الرسول (ε) ، فعمل على اعداد جيش كبير لتحرير بلاد الشام من سيطرة الروم ، لكونها قريبة من مركز الدولة العربية الاسلامية ، فضلا عن

تحكمها بالطرق التجارية التي تؤدي الى كل من مصر والعراق ، فعمل على تسيير الجيوش لتحريرها وعقد الالوية لاربعة من القادة ، وهم ابو عبيدة عامر بن الجراح ، وعمرو بن العاص ، ويزيد بن ابي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة ، وعندما علم الروم جمعوا جيوشهم ، واستعدوا لملاقاة المسلمين ، لقد كان لعمليات الفتح الواسعة والكبيرة صداها ، وكان الزحف الاسلامي والانطلاق نحو بلاد الشام ومصر والمغرب العربي وشمال افريقيا غاية الخلفاء الراشدين والمسلمين ، لاعلاء كلمة الله تعالى ونشر تعاليم الاسلام الحنيف وقيمه في العدالة والحرية والمساواة وتعميم قيم العقيدة الاسلامية في العدالة والمحبة والتسامح والتوحيد وتعميقها .

ويتضمن هذا البحث ثلاثة مباحث وخاتمة ، تضمن المبحث الاول ، بداية حركة الفتوحات الاسلامية في بلاد الشام وشمل : اولا بدء امر الروم ، ودوافع حروب التحرير ، وامراء الجيوش ومسيرتهم نحو الشام ، واهتمام أبي بكر وعمر (ψ) بفتح الشام وحروب التحرير ، اما المبحث الثاني فشمل اهم القادة وامراء الجيوش الذين شاركوا ، واهم المناطق التي تم فتحها في بلاد الشام .

اما المبحث الثالث فتضمن تحرير المغرب العربي وشمال افريقيا ، وشمل ، اولا : تحرير مصر ، ثانيا : تحرير المغرب العربي وشمال افريقيا ، ثالثا : تضمن المحاولات الجادة لتحرير المغرب وتثبيت الوجود العربي فيها وكذلك تضمن حملة عقبة بن نافع الفهري في تونس .

المبحث الاول

بداية حركات الفتوحات الاسلامية في بلاد الشام

اولا : بدء أمر الروم

تعد الامبراطورية الرومانية القوة العظمى الثانية التي كانت تحد بلاد العرب من الشمال ، واول ما كان بينها وبين المسلمين ، الكتاب الذي بعثه رسول الله (ε) الى ملك الروم هرقل يدعوه فيه الى الاسلام ، وكتب الرسول (ε) الى الحارث بن شمر الغساني ملك غسان بالبلقاء [1] وهي كوة من اعمال دمشق بين الشام ووادي القرى ، فيها قرى كثيرة ومزارع واسعة تتميز بجودة حنطتها وهي من السواد والبياض مختلط ين[2] ، وفي السنة الثامنة للهجرة بعث رسول الله (ε) بعثة الى مؤته واستعمل عليهم زيد بن حارثة [3]، فتجهز الناس ، ثم تهيّئُوا للخروج ، وهم ثلاثة الاف ، ثم مضوا ونزلوا معان في الشام ، وان هرقل قد نزل مآب من ارض البلقاء في مائة الف من الروم ، وانضمت اليه المستعربة من لخم وجذام وبلقيس وبهراء [4] ولقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب ، بقرية من قرى البلقاء اسمها مشارف ، وانحاز المسلمون الى قرية مؤتة ، فاقتتلوا

---

(1) ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله (ت 626 هـ - 1229م) ، معجم البلدان لايبزك 1866-1873م ، ح1 ، ص489 - 490.

(2) المصدر نفسه ، ح1 ، ص 489.

(3) المصدر نفسه ، ح1 ، ص 489.

(4) الطبري ، محمد بن جرير ، (ت310 هـ - 922م) ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط 4 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1119 ، ح3 ، ص36.

وقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله (ε) حتى استشهد ثم اخذها جعفر ابن ابي طالب حتى قتل ، ثم اخذ الراية عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل [5] فأخذ الراية ثابت بن اقرم ، فقال يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، ووقع الاختيار على خالد بن الوليد ولم يكن من الامراء ، وقال رسول الله (ε) : اللهم انه سيف من سيوفك ، فانت تنصره ، وقال رسول الله (ε) أَبكروا فـأَمدوا اخوانكم ، فنفروا ركبانا ومشاة ، وقاتلوا الروم قتالا شديدا ولما انصرف خالد بن الوليد بالناس اقبل بهم قافلا وعاد بهم الى المدينة المنورة ولما اقتربوا منها ، تلقاهم الرسول (ε) والمسلمون ، فأُلقي بعبد الله بن جعفر فاخذه رسول الله (ε) وحمله بين يديه ، وكان الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون يا فرَّار في سبيل الله ، فقال الرسول (ε) ليسوا بالفرَّار ، ولكنهم الُكرَّار ، ان شاء الله [6] . وفي السنة التاسعة للهجرة ام ر رسول الله (ε) اصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك في زمن عسرة من الناس ، وحر شديد ، وجدب في البلاد ، وامر الناس بالجهاز ، واخبرهم انه يريد الروم [7] وسار رسول الله (ε) ونزل تبوك ، فلما انتهى الرسول (ε) الى تبوك ، اتاه يحنة بن رؤية ، صاحب ايلة ، فصالح رسول الله (ε) وأعطاه الجزية ، واهل جرباء واذرح اعطوه الجزية ، وكتب رسول الله (ε) لكل كتابا ، وهو عندهم[8] ، واقام

---

[5] المصدر نفسه ، ح3 ، ص39.

[6] المصدر نفسه ، ح3 ، ص40-42.

[7] المصدر نفسه ح3 ، ص101.

[8] المصدر نفسه ، ح3 ، ص 108 .

رسول الله (ε) بتبوك بضع عشرة ليلة ولم يجاوزها ، وانصرف راجعا الى المدينة في شهر رمضان [9].

لقد اعد رسول الله (ε) جيش المسلمين تحت امرة اسامة بن زيد ، لتتوجه لمحاربة الروم [10] ، للقصاص من قتلة المسلمين والثأر لشهدائهم في غزوة مؤتة ، فتوفي رسول الله (ε) فتوقف الجيش ، ولما استخلف ابو بكر الصديق (τ) قام بتوجيه اسامة بن زيد بن حارثة في جيشه الى حيث قتل ابوه في ارض الشام [11] ، فلما توسط اسامة بلاد قضاعة ، بث الخيل فيهم وانتصر عليهم[12] .

ويوم عقد الالوية في شهر ذي القعدة ، عقد الخليفة ابو بكر الصديق (τ) اول لواء لخالد بن سعيد بن العاص ، ثم عزله قبل ان يسير ، وامره ان يكون ردءا للمسلمين بتيماء [13]، لا يفارقها الا بأمره ولا يقاتل الا من قاتله [14]، فانطلق نحو تيماء ، وامن المنطقة فلما بلغ الروم خبره ، حشدوا قوة كبيرة وجيشا ضخما وانضم الى جيش الروم ، من بهراء وكلب وسليح وتنوخ ولخم وجذام وغسان من دون

---

[9] المصدر نفسه ، ح3 ، ص 109 ، 111.

[10] المصدر نفسه ، ح3 ، ص 241.

[11] المصدر نفسه ، ح3 ، ص241.

[12] المصدر نفسه ، ح3 ، ص 243.

[13] المصدر نفسه ، ح3 ، ص388 ، تيماء بلدة في اطراف الشام ، بين الشام ووادي القري على الطريق ، خارج الشام ودمشق ، الحموي ، معجم ، ح2 ، ص 67.

[14] المصدر نفسه ، ح3 ، ص 388.

زيزاء بثلاث[15] ، فكتب خالد بن سعيد بذلك الى ابي بكر (τ) ، فاجابه ابو بكر : ان اقدم ولا تُجحم واستنصر بالله ، فسار اليهم خالد ، ولما اقترب منهم تفرقوا واعروا منزلهم [16]، ونزل خالد ودخل المسلمون معه ، ثم كتب الى ابي بكر ، فاجابه الخليفة (τ) : " أَقدم ولا تقتحمن حتى لا تؤتى من خلفك " [17]، لكن خالد سار ومن التحق به من المسلمين من تيماء وطرف الرمل ، ونزلوا بين آبل وزيزاء والقسطل ، فسار اليه احد بطارقة الروم واسمه باهان ، فهزمه وقتل جنده ، ثم كتب الى الخليفة بذلك واستمده[18] وقد قدم على ابي بكر (τ) عكرمة قافلا وغازيا ومن معه من تهامة وعمان والبحرين والسرو ، وكتب الى امراء الصدقات ، ان يبدلوا من استبدل ، فاستبدلوا كلهم ، وسمي ذلك الجيش بجيش البدال ، وقدموا على خالد بن سعيد ولهذا السبب اهتم الخليفة بامر الشام واهتم بأمره [19].

بدأ ابو بكر (τ) باستنفار القبائل العربية في انحاء الجزيرة العربية كافة ، كأهل مكة والطائف واليمن ونجد والحجاز [20]، وكان انتصار

---

[15] المصدر نفسه ، ح3 ، ص 389.

[16] المصدر نفسه ، ح3 ص 389.

[17] المصدر نفسه ، ح3 ، ص 389.

[18] المصدر نفسه ، ح3 ، ص 389.

[19] المصدر نفسه ، ح3 ، ص 389.

[20] البلاذي ، ابو الحسن احمد بن يحيى بن جابر (ت279 هـ - 892م) ، فتوح البلدان ، تحقيق : رضوان محمد رضوان ، بيروت 1399هـ - 1978م ، ص110.

المسلمين في حروب الردة ، قد عزز ثقتهم بالقيادة العسكرية الاسلامية ، ويبدو هذا واضحا في سرعة تلبية نداء الجهاد ، إذ توافد المسلمون الى المدينة المنورة للجهاد في سبيل الله [21] ، اما فيما يتعلق بعقد الالوية ، فقد عقدها الخليفة ابو بكر (τ) لاربعة من القادة مكونين اربعة جيوش ، واتفقت اغلب المصادرالتاريخية على ان العقد كان لاربعة من القادة [22] ، عدا رواية البلاذري التي تقول ان الجيوش كانت ثلاثة [23]، وكان الخلاف في عدد الالوية هو بشأن لواء أبي عبيده عامر بن الجراح ، إذ يشك البلاذري في قيادته لاحد الالوية التي كانت متجهة لتحرير بلاد الشام ، ويرجح قيادته العامة للجيوش الاسلامية كافة ، كما جاء في قول أبي بكر (τ) لقادة الجيوش و أُمرائهم فقال " ان اجتمعتم على قتال فاميركم ابو عبيدة عامر بن الجراح"[24].

---

[21] الواقدي ، محمد بن عمر (ت 207 هـ 822م) ، فتوح الشام ، تحقيق : عمر ابو النصر ، بيروت 1966م ، ح1 ، ص11-12.

[22] ابن خياط ، ابو عمرو خليفة بن خياط (ت 240 هـ - 854م) ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : اكرم ضياء العمري ، النجف الاشرف ، 1386هـ 1967م ، ح1 ، ص86 ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهـرة 1384 هـ - 1964م ، ح3 ، ص 319 ، المسعودي ، ابي الحسن علي بن الحسين (ت346هـ 957م) ، التنبيه والاشراف ، تحقيق : عبد الامير علي مهنا ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، لبنان ، بيروت -1421هـ 2000م ، ص264.

[23] البلاذري ، فتوح ، ص116.

[24] المصدر نفسه ، ص 116.

لقد تأهب يزيد بن ابي سفيان لقيادة جيش يتكون من سبعة آلاف مقاتل ، وهو اول من خرج بجيشه ، وكانت وجهته الى البلقاء في الشام [25] ، وولاه ابو بكر (τ) عمل خالد بن سعيد بن العاص بعد عزله [26] ، واتبعه أخاه معاوية وامره ابو بكر (τ) ان يسير نحو طريق تبوك [27] ، وكان طريقه محصورا بين المدينة مارا بوادي القرى [28]، وبعدها تبوك فالجابية [29] ، ومنها الى مدينة دمشق [30] ، وقدم عكرمة بن ابي جهل ومن معه تهامة والبحرين ، وارسل على عمرو بن العاص فكتب اليه الخليفة (τ) " اني كنت قد رددتك على العمل الذي ولاكه رسول الله (ε) وسماه لك ، وقد وليته ثم وليته ، واحببت ان افرغك لما هو خير لك في حياتك ومعادك منه ، الا ان يكون الذي انت فيه احب اليك" [31]، وكتب اليه عمرو بن العاص فقال : اني والله سهم من سهام الاسلام ،

---

[25] اليعقوبي ، احمد بن اسحق بن جعفر بن واضح (ت 292 هـ - 904م) ، تاريخ اليعقوبي ، تحقيق : خليل منصور ، بيروت 1423هـ - 2002م ، ح1 ص 90 ، الطبري ، تاريخ ، ح2 ، ص 387 .

[26] المصدر نفسه ، ح1 ، ص 90 ، المصدر نفسه ، ح3 ، 387.

[27] موضع بن وادي القري والشام ، الحموي ، معجم البلدان ، ط 2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت - 1416 هـ 1995م ، ح2 ص 14 .

[28] وادٍ بين المدينة والشام من اعمال المدينة ، كثير القرى فتحها الرسول (ε) سنة 7 هـ ، وبعدها تصالحوا على الجزية ، الحموي ، معجم البلدان ، ح 5 ، ص345 .

[29] وهي قرية من اعمال دمشق من ناحية الجولان تقع قرب مرج الصفر شمالي حوران ، الحموي ، معجم ، ح2 ، ص 91.

[30] البلاذري ، فتوح ، ص 117 ، الطبري ، تاريخ ، ح2 ، ص 387.

[31] الطبري ، تاريخ ، ح3 ، ص 389.

وانت بعد الله الرامي بها ، والجامع لها ، فانظر اشدها واخشاها وافضلها ، فأرم بها [32]، فأمره فقدم عليه ، فخرج بجيش قوامه ثلاثة الاف من المهاجرين والانصار ، وظل الخليفة يمدهم بالامدادات ووصل جيشهم الى سبعة الاف وخمسمائة مقاتل ، ثم بعد ذلك أمره ان يمر بطريق المعرقة [33] مارا بأيله [34] ، ثم الى فلسطين [35] ، وكتب الى الوليد ابن عقبة بنحو ذلك فاجابه بأيثار الجهاد ، اما شرحبيل بن حسنة ، فكان قد قدم من العراق[36] ، حيث جمع له جيش الوليد بن عقبة [37] ، وكان قد عقد له على ثلاثة الاف مقاتل من المسلمين ، وكانت وجهته نحو الاردن ، وهي كورة بالشام سميت بأسم النهر الذي يبدأ ببح يرة طبرية وينتهي بالبحر

---

[32] المصدر نفسه ، ح3 ، ص389.

[33] وهي طريق الى الشام ، الطبري ، تاريخ ، ح3 ، ص 387 ، المقدسي ، شمس الدين ابو عبد الله محمد الشافعي (ت 387هـ - 997م) ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، علق عليه : امين الصاوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1423هـ - 2000 م ، ص138.

[34] هي مدينة تقع على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام ، وقيل انها آخر الحجاز واول الشام ، الطبري ، تاريخ ، ح 3 ، ص387 ، الحموي ، معجم البلدان ، ح 1 ، ص292.

[35] الواقدي ، فتوح الشام ، ح1 ، ص19 ، ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ح1 ، ص86.

[36] الطبري ، تاريخ ، ح 3 ، ص391 ، الخضري بك ، محمد ، اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ، تحقيق وتعليق : ابراهيم امين ، المكتبة التوفيقية ، (د. ت) ، ص 74.

[37] ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ح 1 ، ص 189 ، الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت 748هـ - 1347م) ، سير اعلام النبلاء ، تحقيق : محب الدين ، ط1 ، دار الفكر ، بيروت - 1967م ، ح4 ، ص495.

الميت[38]، سالكا تبوك[39]، اما القائد ابو عبيدة فقد ولاه ابو بكر (τ) امارة الجيش الاسلامي كله ، اضافة الى تكليفه مهمة فتح مدينة حمص[40].

ثانيا : دوافع حروب التحرير والفتوحات الإسلامية في الشام : ــ

عندما ظهر الاسلام وانتشر في جزيرة العرب ، وحد القبائل العربية ونظم قوة العرب وحشدها لغاية انسانية سامية ، تخص مصلحة الجميع ، لا مصلحة فرد معين[41] ، واقام العرب دولة عظيمة ، وان شريعة النبي (ε) ، واللغة العربية وادب العرب وخلقهم الكريم ، اينما حلت بعد الفتوح العربية ثبتت اصولها[42] ، وتتميز الفتوحات الاسلامية بطابع خاص بها ، لا نجد مثله في فتوحات الامم الاخرى ، لان المسلمين انشأوا بسرعة فائقة حضارة كبيرة وجديدة ، تختلف اختلافا كبيرا عن الحضارات الاخرى التي ظهرت قبلها[43] ، لقد جعل الاسلام الفتوحات الاسلامية ، هدفا اساسيا لاعلاء كلمة الله تعالى ونشر الدين الاسلامي ، واكد على فكرة

---

[38] الخضري بك ، اتمام الوفاء ، ص 74.

[39] اليعقوبي ، تاريخ ، ح1 ، ص 90 .

[40] بلد قديم ومشهور ومسور ، واقع بين دمشق وحلب في نصف الطريق ، الواقدي ، فتوح ، ح1 ، ص 12 ، ابن خياط ، تاريخ ، ح1 ، ص 86 ، الحموي ، معجم البلدان ، ح2 ، ص 302.

[41] الخضري بك ، اتمام الوفاء ، ص74.

[42] لويون ، كوستاف الفرنسي ، حضارة العرب ، ترجمة : عادل زعيتر ، القاهرة – 1956م ، ص33 – 34.

[43] المرجع نفسه ، ص 153 ، معروف ، ناجي ، اصالة الحضارة العربية ، مطبعة التضامن ، بغداد 1389هـ – 1969م ، 237.

الاخرة ، التي دفعت الناس الى الاستبسال في القتال لحد الشهادة في سبيل الله ، وتوجيه جهود العرب المسلمين وطاقاتهم نحو تحرير الاراضي العربية من السيطرة الاجنبية ، تنفيذا لسياسة الرسول الكريم (ε) ، وتحمل المسلمون مشاق الحياة وتعرضوا لمناخ صحراوي متطرف ، ما بين حار وبارد ، وهذه الظروف جعلت العرب اكثر قدرة وكفاءة ، في تحمل الظروف والاحوال الجوية والمناخية المتقلبة ، مما خلف لديهم روح التضحية والاستعداد ، لقد خاض العرب حروبا طويلة قبل الاسلام ، والغزوات الكثيرة صقلت مواهبهم القتالية وجعلتهم اشداء اقوياء في الحروب ، مستعدين للقتال والدفاع عن عقيدتهم في كل الظروف ، لقد كان العرب يستخدمون اسلوب الكر والفر ، والهجوم السريع والانسحاب السريع ، في الحروب ، وما صاحب السرعة من حركة في القتال ، ضد العدو ، جعلهم يهيمنون على العدو من كافة الجهات ، فيربكوه ، وهم اسرع واخف في الهجوم من الجيشين الساساني والبيزنطي [44] ، وقد تصدت تنظيمات البيزنطيين لهجمات العرب المسلمين ، فخاض المسلمون سلسلة من المعارك المتعاقبة في اليرموك وحمص ودمشق ، ثم اضطر وا للوقوف عند جبال طوروس[45] .

وشارك عرب الشام اخوانهم في قتال الروم والتصدي لهم ، وقدموا لهم المساعدات المختلفة ، وارشدوهم الى الطرق المهمة والقصيرة ، وبينوا

---

[44] جاسم ، صكبان علي ، دراسات في التاريخ العربي ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، مكتبة الدار الوطنية ، بغداد ، 1985، ص18 .

[45] المرجع نفسه ، ص 18.

لهم نقاط ضعف العدو [46]، وبهذه الشجاعة النادرة ، والمعنويات العالية ، وايمانهم الراسخ بعقيدتهم ، والاستبسال في القتال ، انتصر الجيش العربي الاسلامي على عدوهم .

1- اهتمام الخليفة أبي بكر الصديق (τ) بفتح بلاد الشام : ــ

اهتم ابو بكر (τ) بفتح بلاد الشام ، واراد تنفيذ الخطط الحربية التي بدأها الرسول (ε) ، وقد طرح ذلك في خطته حيث قال " واعلموا ان رسول الله (ε) كان عول ان يصرف همته الى الشام ، فقبضه الله ، واختاره اليه ، الا واني عازم ان اوجه ابطال المسلمين الى الشام ، باهلهم ومالهم ، فرسول الله أنبأني بذلك قبل موته"[47]، ولعل سبب اهتمام الخليفة أبي بكر(τ) بفتح الشام قبل غيرها ، من البلدان هو قربها من قاعدة الدولة العربية الاسلامية ، ووجود تحشدات بيزنطية كبيرة فيها ، وتحكم الشام بطرق المواصلات ، وان أي تحرك عربي اسلامي سيكون مهددا بالخطر ، ما لم تتم سيطرة العرب المسلمين على طرق المواصلات ، فضلا عن ذلك ، اعلان معظم القبائل العربية في الشام ، استعدادها للتعاون مع المحررين العرب للتخلص من السيطرة الاجنبية والوقوف الى جانبهم [48] ، لذلك جهز الخليفة ابو بكر (τ) الجيوش الى الشام لتحريرها من الروم [49] ، فبعث عَمْرَ بن العاص قبل فلسطين ، فاخذ طريق المعرقة على أيلة ، وبعث يزيد بن ابي سفيان وابا عبيدة بن الجراح ، وشرحبيل بن حسنة ،

---

[46] المرجع نفسه ، ص18.

[47] الواقدي ، فتوح الشام ، ح1 ، ص2 .

[48] جاسم ، صكبان علي ، دراسات في التاريخ ، ص18.

[49] الطبري ، تاريخ ، ح3 ، ص 387

وامرهم ان يسلكوا التبوكية على البلقاء من علياء الشام [50] ، وقال ابو بكر (τ) لقادة الجيوش وامرائهم الذاهبين لتحرير الشام "ان اجمعتم على قتال ، فأميركم ابو عبيدة عامر بن الجراح [51] ، ثم طلب من خالد بن الوليد التوجه الى بلاد الشام ، وبعث اليه وهو في العراق ، وعزم عليه واستحثه في السير ، فنفذ خالد لذلك [52] ، فسار ومعه دليل متوجها الى الشام ، قاطعا الصحراء في ثمانيةِ ايام ، وفي طريقه حرر تدمر [53] ، واع دّ المؤرخون وصول خالد بن الوليد الى الشام ، بهذه السرعة ونجاحه بقطع الصحراء ، من الاعمال العسكرية الهامة[54] .

لقد مات ابو بكر (τ) والمعارك دائرة بين جيوش المسلمين من جهه ، وبين الفرس والروم من جهه اخرى ، وادرك ابو بكر (τ) هذه الظروف قبل وفاته، وضمان النصر يحتاج الى عون واتصال بالعاصمة وهي دار الخلافة ، وترك المسلمين بلا خليفة ، سيجعلهم في وضع لايحسدون عليه ، وبالتالي سينقسم المسلمون على انفسهم ، وستحل الهزيمة بهم[55] .

---

[50] المصدر نفسه ، ح3 ، ص 387.

[51] البلاذري ، فتوح البلدان ، ص116.

[52] الطبري ، تاريخ ، ح3 ، ص 393.

[53] البلاذري ، فتوح ، ص 37.

[54] صكبان ، دراسات في التاريخ العربي ، ص19.

[55] قدامة ، ابو الفرج قدامة بن جعفر (ت 320هـ - 932م) ، الخراج وصناعة الكتابة ، تحقيق : الدكتور محمد حسين الزبيدي ، بغداد دار الحرية 1981م ، 286.

2- حروب التحرير ايام الخليفة عمر بن الخطاب (τ) في بلاد الشام :ـ

استمر العرب المسلمون في حروب التحرير في ايام الخليفة عمر بن الخطاب (τ) وخاضوا معارك ضد الروم في بلاد الشام والحقوا هزيمة منكرة بالروم في اجنادين سنة (13هـ - 634م) ، وهزمت اركان دولتهم في الشام ، مما اضطر هرقل الى الرحيل من حمص الى انطاكيا[56] ، ومعركة اجنادين تمثل اهمية كبيرة للمسلمين ، باعتبارها اول اصطدام بين العرب والروم ، بقوات كبيرة لم يسبق لها مثيل ، ثم معركة دمشق سنة (14هـ - 635م) التي دخلها العرب من ناحيتين ، دخلها خالد بن الوليد من الباب الشرقي عنوة ، ودخلها ابو عبيدة عامر بن الجراح من باب الجابية سلما ، على اصح الروايات [57]، ودارت معركة عنيفة من ناحية اليرموك سنه (15هـ ـ 636م) ، سميت بمعركة اليرموك ، انتهت بانتصار العرب المسلمين ، وهزيمة الروم ، وقد شاركت النساء العربيات المسلمات في هذه المعركة وفر هرقل من انطاكيا الى القسطنطينية[58]، واليرموك وادٍ في الجنوب الغربي من الشام وبقي كل امير على جيشه ، وجيش الروم امامهم ، وبين الفريقين خندق ، وكان الروم يقاتلون باختيارهم ، وان شاؤا احتجزوا في خنادقهم ، واقام الفريق ان صفرا والربيعين من السنة الثالثة للهجرة[59] .

---

[56] البلاذري ، فتوح ، ص 120-121.

[57] ابن خياط ، تاريخ ، ح 1 ، ص94 ، الطبري ، تاريخ ، ح3 ، ص440. ، قدامة بن جعفر ، الخراج ، ص291.

[58] البلاذري ، فتوح ، ص 141 – 142، الطبري ، تاريخ ، ح3 ، ص401.

[59] اليرموك ، وادي بناحية الشام في طريق الغور يصب في نهر الاردن ثم يمضي ، كانت بها حرب بين المسلمين والروم ايام ابو بكر الصديق (τ) ، الحموي ، معجم البلدان ، ح5 ، ص434.

ثالثا: خط سير الجيوش العربية الاسلامية في فتح بلاد الشام :ــ

كان خط سير الجيوش في طريق القوافل المعروفة ، الذي يؤدي من مكة والمدينة ، الى دمشق ، فكان اول المناطق خضوعا لنفوذ العرب المسلمين ، هي المنطقة الواقعة شرقي نهر الاردن والبحر الميت ، ولم يتهيأ انجاز تحرير الجليل والاراضي المنخفضة من اقليم الاردن وفلسطين حتى الاستيلاء على دمشق ونواحيها في الشمال [60]، اما اخضاع الاقاليم الواقعة في شمال دمشق بما فيها المدن الكبيرة مثل انطاكيا وحلب وحمص ، فقد تبع ذلك مباشرة ، وبهذا انتهى تحرير الشام [61].

لقد كان فتح بلاد الشام نصر المسلمين وفوز الفائزين ، ففتح اليرموك وتحقيق النصر ، وفتح دمشق ، وهي جنة الارض بلا خلاف ، لحسن عمارته ونضارة بقعته وكثرة فاكهته ونزاهة رقعته وكثرة مياهه ، وسميت دمشق لسرعة بنا ها [62]، لقد كتب عمر بن الخطاب (τ) لابي عبيدة ، "فأبدؤا بدمشق ، فانهدوا لها ، فانها حصن الروم بالشام وبيت مملكتهم ، واشغلوا عنكم اهل فحل بخيل تكون بازائهم في نحورهم واهل فلسطين واهل حمص ، فان فتحها الله قبل دمشق فذاك الذي نحب ، وان تأخر فتحها حتى يفتح الله دمشق ، فلينزل بدمشق من يمسك بها ودعوها "[63]، فارسل ابو عبيدة عشرة قواد الى فحل ، فساروا ونزلوا

---

[60] البلاذري ، فتوح البلدان ، ص 127-136.

[61] المصدر نفسه ، ص 127-136.

[62] الحموي ، معجم البلدان ، ح2 ، ص 463-465.

[63] الطبري ، تاريخ ، ح3 ، ص 437- 438.

قريبا منها ، فلما رأتهم الروم ، بثقوا المياه حول فحل ، فوحلت الارض ، ففصل ابو عبيدة بن الجراح من المرج ، وقدم خالد بن الوليد وعلى مجنبتيه عمرو بن العاص وابو عبيدة ، وعلى الخيل عياض بن غنم ، وعلى الرجل شرحبيل ، فقدموا على دمشق وحاصروها ونزلوا حواليها ، وحاصروها نحو سبعين ليلة حصارا شديدا حتى فتحت دمشق [64]، اما بعد فتح دمشق ، فقد خلف الناس يزيد بن ابي سفيان في خيله في دمشق ، وساروا نحو فحل وعلى الناس شرحبيل بن حسنة ، فبعث خالدا على المقدمة وابا عبيدة وعمرا على مجنبتيه ، وعلى الخيل ضرار بن الازور ، وعلى الرجل عياض [65].

وكانت صيدا مدينة على ساحل الشام من اعمال دمشق شرقي صور ، بينهما ستة فراسخ ، سميت بصيدون بن صدقاء بن حام بن نوح ، وثم فتحها على يد يزيد بن ابي سفيان [66] ، وكان ابو بكر (τ) قد سمي لكل امير من امراء الشام كورة ، فسمى حمص لابي عبيدة الجراح ، ودمشق ليزيد بن ابي سفيان ، ولشرحبيل بن حسنة الاردن ، ولعمرو بن العاص وعلقمة بن مجزر فلسطين ، وعندما فرغا منها ، نزل علقمة وسار الى مصر ، وعندما شارفوا الشام ، دهم كل امير منهم قوم كثير ، فاجمع رأيهم ان يجتمعوا بمكان واحد ، وان يلقوا جيش المشركين بجمع المسلمين[67] ، ولم تزل الجيوش سائرة حتى وصلت بلاد الشام ، وكان

---

[64] المصدر نفسه ، ح3، ص 438.

[65] المصدر نفسه ، ح3 ، ص 442 ، الحموي ، معجم ، ح3 ، ص 437.

[66] الحموي ، معجم ، ح3 ، ص 438.

[67] الطبري ، تاريخ ، ح3 ، ص394.

ابو بكر (τ) يودعهم ماشيا ويوصيهم بما فيه صلاح دينهم ودنياهم واخراهم [68] ، فكتب الى عمرو بن العاص ، والى الوليد بن عقبة ، وكان على النصف من صدقات قضاعة ، واوصى كل واحد منهما بوصية واحدة فقال : " اتق الله في السر والعلانية ، فانه من يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتق الله يكفر عن سيئاته ويعظم له اجرا "[69] ، وسار مع يزيد بن ابي سفيان يوص يه ، وابو بكر (τ) يمشي ويزيد راكب ، فلما فرغ من وصيته قال : اقرئك السلام ، واستودعك الله [70] ، وعندما علم هرقل بخبر قرب جيش المسلمين منه ، جمع الروم وقال : ارى من الرأي الا تقاتلوا هؤلاء القوم ، وان تصالحوهم ، فو الله لان تعطوهم نصف ما اخرجت الشام ، وتأخذوا نصفا وتقر لكم جبال الروم ، خير لكم من ان يبلغوكم على الشام ، ويشاركوكم في جبال الروم [71] ، فرفضوا رأيه ، وتصدع عنه من كان حوله ، فامر الامراء ووجه الى كل جند جندا ، وخرج ونزل حمص ، فلم ا بلغه امر خالد بن الوليد ، وانه قد طلع على سُوى ، وانتسق اهله واموالهم ، وكذلك فتحه لبصرى ، قال لقومه : " الم اقل لكم لا تقاتلوهم ! فانه لا قوام لكم مع هؤلاء القوم ، ان دينهم دين جديد يجدد لهم بثارهم ، فلا يقوم لهم احد حتى يبلى[72].

---

[68] المصدر نفسه ، ح3 ، ص 390.

[69] المصدر نفسه ، ح3 ، ص 390.

[70] المصدر نفسه ، ح3 ، ص 405.

[71] المصدر نفسه ، ح3 ، 402.

[72] المصدر نفسه ، ح3 ، ص 403.

المبحث الثاني

المشاركون في فتح الشام والمناطق التي تم فتحها

اولا : اهم القادة المشاركين في فتح بلاد الشام حتى خلافة عمر بن الخطاب (τ) :

لقد كان فتح بلاد الشام نصرا عظيما وتأييدا للرسول(ε) ولصحابته الكرام ، أبي بكر وعمر(τ) ، ومن اهم القادة الذين شاركوا بفتح بلاد الشام :

1 ابو عبيدة عامر بن الجراح بن هلال الفهري القرشي ، الامير الفاتح للديار الشامية ، والصحابي الجليل ، لقبه رسول الله (ε) بأمين الامة ، واحد العشرة المبشرة بالجنة ، ولقد ولي قيادة الجيش الزاحف الى الشام ، توفي في طاعون عمواس سنة 18هـ [73].

2 شرحبيل بن حسنة ، بن السمط بن الاسود الكندي ، او كما جاء في الطبري ، هو شرحبيل بن حسنة بن عبد الله بن المطاع بن عمرو من كندة ، ويقال من الازد ، شهد القادسية وافتتح حمص في الشام والاردن ، وقاتل في حروب الردة ، وشهد صفين ، وتولى امر حمص نحو عشرين سنة ومات فيها[74] .

3 عمرو بن العاص بن وائل السلمي القرشي ، ابو عبد الله ، فاتح مصر ، احد عظماء العرب ودهاتها ، واولي الرأي والعزم فيهم ، كان

---

[73] ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله (ت 571هـ - 1175م) ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ، طبعة : عبد القادر بدران ، دمشق ، مطبعة روضة الشام 1329 – 1332 هـ ، ح6 ، ص297.

[74] الطبري ، تاريخ ، ح3، ص406 ، ابن عساكر ، تهذيب ، ح6 ، ص 297.

في الجاهلية من الاشداء على الاسلام ، اسلم بعد صلح الحديبية ، ولاه النبي (ε) امرة الجيش في ذات السلاسل ، وبعثه ابو بكر الى فلسطين ، وشارك في فتح الشام ، وولاه عمر بن الخطاب (τ) فلسطين [75].

4 يزيد بن ابي سفيان ، وهو من الصحابة ، امره ابو بكر (τ) على جند عظيم ، وقاد الجيوش الى بلاد الشام ، والتحق به اخوه معاوية بامر من أبي بكر (τ)[76]، ثم فتح سواحل صيدا وجبيل وبيروت على يد يزيد ، وسير معاوية لفتح قيسارية ففتحها[77].

5 خالد بن سعيد بن ابي العاص بن امية ، صحابي قديم الاسلام ، اسلم ورسول الله يبث الدعوة للدين الجديد سرا فكان الثالث او الرابع من الداخلين في الاسلام ، وهاجر الى الحبشة وحضر فتح مكة ثم وقعة تبوك وفتح اجنادين ، ثم شهد وقعة مرج الصقر فقتل فيها [78].

6 عكرمة ابن ابي جهل بن هشام المخزومي القرشي ، من صناديد قريش في الجاهلية والاسلام ، اسلم بعد فتح مكة وحسن اسلامه ، شارك في فتح الشام ، وجرح واصيب يوم اليرموك [79].

7 الاشعب بن قيس بن معدي كرب الكندي ، وفد على النبي (ε) في جمع من قومه ، فاسلم وشهد اليرموك واصيب بها[80] .

---

[75] الطبري ، تاريخ ، ح3 ، ص387 ، الخضري بك ، اتمام الوفاء ، ص 156.

[76] المصدر نفسه ، ح3 ، ص 390 ، 391 ، 405.

[77] الحموي ، معجم ، ح3 ، ص 47 – 438.

[78] ابن سعد ، ابو عبد الله محمد (ت 230هـ 844م) ، الطبقات الكبرى ، بيروت – 1957م . ح4 ، ص67.

[79] الطبري ، تاريخ ، ح3 ، ص401–402.

8 المغيرة بن شعبه ابي عامر الثقفي ، احد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم ، صحابي شهد الحديبية واليمامة وفتوح الشام ، وذهبت عينه باليرموك وشهد القادسية ونهاوند ، ولاه عمر بن الخطاب (τ) البصرة وعزله وولاه الكوفة ، فاعتزلها ايام الفتنة ، وحضر مع المحكمين[81].

بالاضافة الى مشاركة القعقاع بن عمرو التميمي ، وعياض بن غنم ، وهاشم بن عتبة ، والاشتر النخعي ، وزياد بن حنظلة ، وامرؤ القيس ، وحبيب بن مسلمة ، وغيرهم كثير من شارك في اليرموك وتحقيق النصر [82].

ثانيا : اهم المناطق التي تم فتحها في بلاد الشام :

سير ابو عبيد الله الجراح الى الفحل فرقة من الجيش ، وارسل خالد بن الوليد الى دمشق لانها حصن الشام ودار هرقل وبيت مملكتهم ، وسير فرقة اخرى الى حمص لتكون بين حمص ودمشق ، لمنع الامدادات عنها ، واخرى بين فلسطين ودمشق ، واستخلف على فلسطين والاردن عمرو بن العاص [83] ، وتم فتح سواحل صيدا وعرقة وجبيل وبيروت على يد يزيد بن ابي سفيان ، وسار معاوية في جند هِ الى قيسارية ففتحها [84] ، وتم فصل فرقتين من جيش أبي عبيدة ، امر احد اهما

---

[80] ابن عساكر ، تهذيب ، ح6 ، ص 210.

[81] الطبري ، تاريخ ، ح6 ، ص131.

[82] المصدر نفسه ، ح3 ، ص 396.

[83] المصدر نفسه ، ح3 ، 437 ، الحموي ، معجم البلدان ، ح2 ، ص 463 ، 470.

[84] المصدر نفسه ، ح 3 ، ص 604 –605 ، المصدر نفسه ، ح 3 ، ص437 – 438 .

لشرحبيل بن حسنة ووجهه الى بيسان ، والاخرى الى طبرية قصبة في الاردن ، وفتحت كل منهما ، اضافة الى ذلك فتحت حمص وبعلبك والرها [85] ، وفتحت اللاذقية وقنسرين وهي كورة بالشام ، وحلب وانطاكيا [86] ، وسار خالد بن الوليد نحو قنسرين ، فتحصنوا منه فقال : " انكم لو كنتم في السحاب لحملنا الله اليكم او لانزلكم الينا" ، فنظروا في امرهم ، وسمعوا ما لقي اهل حمص ، فطلبوا منه الصلح فصالحهم على صلح حمص [87] ، وخرج ابو عبيدة ومعه خالد بن الوليد وما اضيف اليهم من اليرموك ، فنزلوا على ذي الكلاع ، وبلغ الخبر هرقل فبعث توذرا ، ونزل بمرج دمشق وغربها ، وبدأ ابو عبيدة بمرج الروم ، وجاء مدد الروم الى جيش توذرا ، بقيادة شنس الرومي ، فكان خالد ازاء توذرا وابو عبيدة ازاء شنس ، فهرب توذرا ولحقه خالد ، بعد ان حاصره يزيد ، فقتله خالد ، وقتل ابو عبيدة شنس ، فاقتتلوا بمرج الروم ، قتالا عظيما ، ولم يفلت احد منهم الا القليل ، وتم فتح حمص[88].

وخرج عمرو بن العاص من الاردن وسار الى الارطبون ، وخرج معه شرحبيل بن حسنة ، ونزل على الروم باجنادين ، والروم في حصونهم وخنادقهم ، وعليهم الارطبون ، وكان من ادهى الروم ، وقد كان

---

[85] المصدر نفسه ، ح3 ، ص 443 – 444 ، المصدر نفسه ، ح4 ، ص17 – 20 .

[86] الحموي ، معجم ، ح4 ، ص 403– 404 .

[87] الطبري ، تاريخ ، ح3 ، ص 601.

[88] المصدر نفسه ، تاريخ ، ح 3 ، ص 598– 599 ، الحموي ، معجم ، ح 4 ، ص17–20.

وضع في الرملة وايلياء جندا كبيرا ، فحاربه عمرو وهزمه الى ايلياء بيت المقدس ، ولحق به وحاصره ، وطلب اهلها الصلح على ان يكون المتولي عمر بن الخطاب (τ) ، وكتب الى عمر (τ) بذلك[89] ، فسار من المدينة ، بعد ان ولّي الامام علي بن ابي طالب عليه (τ) عليها ، وكتب الى عماله ان يوافوه بالجابية ، وهي بلدة بدمشق ، فكان م من لقيه يزيد ثم ابو عبيدة ثم خالد على الخيول ، عليهم الديباج والحرير ، فنزل واخذ الحجارة ورماهم بها ، وقال : " سرع ما لفتم عن رأيكم ! اياي تستقبلون في هذا الزي ، وانما شبعتم منذ سنتين سرع ما ندت بكم البطنة ! وتالله لو فعلتموها على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم ، فقالوا يا امير المؤمنين ، انها يلامقة ، وان علينا السلاح ، قال: فنعم اذا، ودخل الجابية ، وعمرو وشرحبيل باجنادين لم يغادراها [90].

لما قدم عمر الجابية ، قال له يهودي : لا ترجع الى بلادك حتى يفتح الله عليك ايلياء ، ثم مضى ودنا من المسجد ، قال : ارقبوا كعبا ، وعندما وصل للباب ، قال لبيك اللهم لبيك ، وبعدها قصد محراب داود (υ) ، وكان الوقت ليلا فصلى ، ثم طلع الفجر ، فامر المؤذن باقامة الصلاة ، فصلى بالناس وانصرف ، فسأل كعب ، اين نجعل المصلى ، فاجابه الى الصخرة ، فقال بل نجعل قبلته صدره ، كما جعلها الرسول (ε) ، فاذهب فانا لم نؤمر بالصخرة ، ولكنا امرنا

---

[89] الطبري ، تاريخ ، ح3 ، ص 605 ، الحموي ، معجم ، ح4 ، ص 403.

[90] المصدر نفسه ، ح3 ، ص607 ، المصدر نفسه ، ح4 ، ص 403.

بالكعبة [92]، فجعل قبلته صدره ، ثم قام الى كناسة كانت الروم قد دفنت بها بيت المقدس ، وشرع بازالته وتناول بيده يرفعه بثوبه ، واقتدى به المسلمون ، ثم امر ببناء المسجد [93] ، ولما قدم عمر (τ) ايلة دفع الى الاسقف ، قميصا له كرابيس [94] ، قد انشق مؤخره ، بسبب قعدته طول السفر ، فرجع الاسقف بعد ان غسل قميصه ورقعه ، واهدى له اخر منه ، فنظر عمر ولبس قميصه ، ورد قميص الاسقف ، وقال له هذا انشفهما للعرق [95]، وجعل فلسطين ولايتين ، احد اهما قصبتها الرملة ، والاخرى قصبتها ايلياء ، ثم ولى الولاة على الشام بعد ان قسمها اقساما ، ورجع الى المدينة منصورا [96].

المبحث الثالث

تحرير المغرب العربي وشمال افريقيا

---

[92] المصدر نفسه ، ح3 ، ص 611 ، الحموي ، معجم ، ح4 ، ص 403 .

[93] المصدر نفسه ، ح3 ،، ص 611 ، المصدر نفسه ، ح4 ، ص 404.

[94] كرابيس : جمع كرباس وهو القطن ، الطبري ، تاريخ ، ح4 ، ص 64.

[95] الطبري ، تاريخ ، ح4 ، ص 64.

[96] الحموي ، معجم ، ح4 ، ص404.

اولا : تحرير مصر

شعر الخليفة عمر (τ) ، ان الشام والحجاز لا يمكن ان تنعم بالامن والاستقرار ، وفي مصر جيش كبير للبيزنطيين ، اضافة الى كونها دولة غنية ، وتشكل المفتاح الى شمال افريقيا [97] ، وكان يرى ان فتح مصر ، انما هو ضمان لاستقرار الاسلام ، في افريقيا واسيا ، لهذه الاسباب ، اصبح الامر ضروريا للتوجه الى مصر ، فقاد عمرو بن العاص حملته على مصر ، فعبر سيناء حتى وصل العريش [98] ، التي خضعت للعرب ، من دون مقاومة ، وكانت الفرما التي سقطت سنة 19هـ ، مفتاح مصر ، وفي خلال شهر ، تمكن العرب من السيطرة على بلبيس ، وفر الروم منها ، وطلب عمرو من الخليفة عمر (τ) ان يمده بجيش ، على رأسه الزبير وعبادة بن الصامت [99] ، لقد فر البيزنطيون الى حصن نابليون ، فتبعهم العرب الى الحصن المذكور سنة 20هـ ، وحاصروه ، لمدة ستة اشهر ، حتى مل النصارى الحصار ، فارسل المقوقس وفدا ليتفاوض مع المسلمين بأسمه ، وتم الاتفاق على ان يدفع النصارى الجزية ، نظير الحماية والتمتع بمرافق الدولة الاسلامية ، فوافق المقوقس على الصلح [100] ، على الرغم من ان هرقل لم يوافق عليه ، حيث كانت

---

[97] صكبان ، دراسات ، ص 24.

[98] المرجع نفسه ، ص 24 .

[99] البلاذري، فتوح ، ص145.

[100] ابن عبد الحكم ، ابو القاسم ، عبد الرحمن بن عبدالله (ت 257هـ - 870م) ، فتوح مصر واخبارها ، نشر : جارلس توري ، ليدن ، مطبعة بريل - 1920م ، ص 70-72.

الاسكندرية من معاقل البيزنطيين المهمة ، فهي ذات اسوار عالية ، وحصون منيعة ، ومتصلة بالبحر ، تأتيها الامدادات من القسطنطينية [101] بسهولة ، وبها اكبر حامية بيزنطية ، على الرغم من ذلك ، قام العرب المسلمون بحملة عليها مزقوا فيها قوتهم ، وتمكنوا من التسلل الى داخل الاسوار ، واشاعوا الفزع في نفوس الاعداء ، ولعب المقوقس دورا مهما ، فتقدم الى المسلمين ، وعقد الصلح معهم سنة 21 هـ ، على ان يدفع النصارى الجزية للمسلمين ، وان يخرج من الاسكندرية من اراد الخروج ، ويقيم بها من احب المقام ، وان يُفرض على كل حالم من القبط ديناران ، ويتمتع النصارى بحرية العبادة ، ويقيم القبط للمسلمين ، الضيافة لمدة ثلاثة ايام ، وهناك اسواق وجسور ما بين الفسطاط الى الاسكندرية [102] ، ويحتفظ المسلمون بمائة وخمسين جنديا بيزنطيا ، وخمسين مدنيا رهائن حرب ، لكي لا يكرر الروم الحرب على العرب ، ويرى المؤرخون أنّ نجاح تحرير مصر ، خفف عن الروم عبئا ثقيلا [103] ، وحقق لونا من التجانس ، بين سكان الجزء الباقي ، لقد اصبحت مصر قاعدة لانطلاق الفتح في افريقيا ، بعد توطين سلطانهم في مصر [104] ،

ثانيا : تحرير المغرب العربي وشمال افريقيا:

---

[101] البلاذري ، فتوح ، ص225.

[102] المصدر نفسه ، ص225.

[103] المصدر نفسه ، ص225.

[104] ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص70.

استخدم المؤرخون والجغرافيون مصطلح المغرب لوصف معظم المناطق التي تمتد من حدود مصر الغربية حتى شواطئ المحيط الاطلسي[105] ، فهو مرادف لمصطلح شمال افريقيا باستثناء مصر ، حيث يضم اليوم المناطق التي تقع ضمن ليبيا والجزائر والمغرب وتونس ، وقام الامويون ، بتحرير هذه المناطق ، منذ عهد الخليفة معاوية ، وكانت محاولاتهم ، استكمالا لمحاولات الخلفاء الراشدين ، ونجد توافر العوامل نفسها التي ادت الى فتح المشرق العربي [106] ولغاية سامية ، في سبيل نشر الاسلام ، بين الشعوب المجاورة ، وتحريرها من السيطرة الاجنبية ، وتحمل مسؤولياتهم ، ازاء هذه الشعوب ، لانهم حملة رسالة سماوية عظيمة ، وللمغرب خصوصية معينة ، شجعت الامويين ، على مد نشاطهم العسكري اليه ،وتم تحرير مصر في عهد الراشدين ، وكان لابد من المحافظة ، على هذا الانجاز الكبير الذي تم تحقيقه في مصر ، وكان لابد من القضاء على خطر محتمل ، يهدد سلامة الوجود العربي فيها ، وهذا الخطر يكمن في قوة البيزنطيين البحرية ، وكذلك في وجود قواتهم الحصينة في المغرب ، وبالتالي فانه يهدد الوجود العربي في مصر ، وكان لابد من اتخاذ اجراءات حاسمة ، تدفع الخطر عن مصر ، وتحافظ

---

[105] ابن حوقل ، محمد بن علي (ت 367هـ -977م) ، صورة الارض ، بيروت ، دار مكتبة الحياة – 1979م ، ص 64 -65.

[106] المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص 26.

على ما حققته الفتوح الاسلامية من انجازات في بلاد الشام ومصر [107] ، ويبدو ان المحاولات الاولى ، لتحرير المغرب العربي ، قد بدأت في عصر الخلفاء الراشدين ، وبعد تحرير مصر ، حاول القائد عمرو بن العاص ، قيادة حملة على ليبيا ، وتكللت حملته بالنجاح ، واستطاع ان يعقد الصلح مع السكان الاصليين ، مع دفعهم للجزية [108]، ثم ارسل الخليفة عثمان بن عفان، حملة اخرى الى المغرب ، بقيادة عبد الله بن ابي السرح ، وكان هدفها ، القضاء على قوة البيزنطيين الرئيسة في افريقيا (تونس الحالية) ، وتم النصر لهذة الحملة على حاكمهم ، جرير في سبيطالة ، التي تقع جنوب غرب القيروان ، لكن البيزنطيين ، فاوضوا ابن ابي السرح ، ودفعوا له مبلغا كبيرا من المال مقابل مغادرة العرب المسلمين للبلاد ، فتمت الموافقة على ذلك ، ورجع الى مصر سنة 28هـ [109] ، ويتبين لنا من ذلك ، ان حملة عمرو الى ليبيا ، لم تكن اكثر من حملة صغيرة ، كان الهدف منها جس النبض ، والاستطلاع ، ولم يحدث أي استقرار للعرب ، في المناطق التي دخلوها ، وحملة ابن ابي السرح لا تعدو ان تكون غارة طويلة لم تحقق نتائج حاسمة على المدى البعيد ، وهذا يؤكد امتلاك البيزنطيين قواعد

---

[107] المصدر نفسه ، ص 26.

[108] ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص107.

[109] المصدر نفسه ، ص 183 .

مهمة اخرى على سواحل قرطاج [110] وغيرها، وهذا يعني ان التقدم نحو هذه القواعد يتطلب قوة بحرية واسطو لا عربيا فقالا وقويا ، ولم يكن العرب يمتلكون مثل هذا الاسطول ، في ذلك الوقت ، ومما زاد في تجميد الوضع العسكري في جبهة المغرب ، حدوث الحرب الاهلية ، وقيام الفتنة ، بعد استشهاد الخليفة عثمان بن عفان (τ) ، مما ادى الى انشغال العرب عن القيام بأية حملات الى المنطقة ، هذه الفتنة التي دامت ثلاثة عشر عاما ، وبعد انتهاء الفتنة ، واستلام معاوية الخلافة ، سنة 41هـ ، بدأ العرب بالقيام بموجة جديدة من حروب التحرير في المغرب [111] ، وخرج عدد من حملات التحرير من مصر ، كان اهمها الحملة التي قادها معاوية بن حديج ، وقد انتصرت هذه الحملة على البيزنطيين [112] في عدة مواقع ، ورجعت الى مصر ، ولم يحاول قائدها الاستفادة من انتصاراته العسكرية ، ومن المحتمل ان العرب ، لم يفكروا بشكل جاد ، حتى ذلك الوقت في الاستقرار في شمال افريقيا ، وكان همهم الرئيسي موجها لتامين سلامة حدود مصر الغربية [113].

ثالثا : المحاولات الجادة لتحرير المغرب وتثبيت الوجود العربي فيها :

---

[110] المصدر نفسه ، ص 7-17.

[111] المصدر نفسه ، ص 183.

[112] المصدر نفسه ، ص 193.

[113] البلاذري ، ص 183.

يعد تعيين القائد عقبة بن عبد الله الفهري .، سنة 50هـ /670م ، على ولاية افريقيا ، بداية لمحاولات الامويين الجادة في مجال تحرير المغرب ، فقد اتبع هذا القائد الذي تمرس في شؤون المنطقة ، وشارك في كثير من الحملات السابقة ، سياسة تقوم على التعاون ، مع سكان البلاد المحليين من القبائل المغربية [114] (البربر) ، ومن ثم مشاركتهم في تحرير بقية المناطق ذات النفوذ البيزنطي ، وكان عقبة نتيجة لخبرته الطويلة في المنطقة ، يدرك اهمية الحاجة لاستقرار العرب المسلمين في المغرب ، لكي يضمنوا عدم تمرد السكان المحليين ، في حال انسحابهم ، وانشاء قاعدة عسكرية تضم الحامية العربية ، مع ضمان سلامة القوات العربية ، فضلا عن استخدامها قاعدة لانطلاق جيوش التحرير منها ، الى المناطق غير المفتوحة ، ونشر الاسلام بين السكان المحليين [115].

قاد عقبة بن نافع الفهري ، حملة جنوب تونس الحالية سنة 50هـ - 670م ، وبدأ بمدينة القيروان ، ومن اسباب اختيار العرب لموقع المدينة بعدها عن البحر ، ولضمان سلامتها من أي هجوم مفاجئ قد يقوم به البيزنطيون عليها ، وتحروا ان يكون موقعها في منطقة خصبة ، لكي ترعى ابلهم فيها [116]، وكان تخطيط المدينة بسيطا تضمن المسجد الجامع ودار الامارة وحولها منازل القبائل العربية التي شكلت قوة الجيش

---

[114] المالكي ، ابو بكر عبد الله بن محمد ، رياض النفوس ، تحقيق : حسين مؤنس ، القاهرة -1951م ، ح1 ، ص 6-7.

[115] المصدر نفسه ، ص 6-7.

[116] المصدر نفسه ، ح1 ، ص21.

الرئيسي المرافق لعقبة ، لقد استغرقت مدة بناء المدينة خمس سنوات ، حيث تم بناؤها سنة 55هـ - 675م [117]، وقد سار ابو المهاجر دينار الوالي خلف عقبة على افريقيا ، على سياسة التقرب من السكان المحليين ، بعد ان اظهر لهم قوة العرب ، واستطاع ان يقوم بحملة على غرب الجزائر الحالية ، التقى فيها بالزعيم البربري كسيلة بن لمزم ، وتمكن من كسبه الى جانبه ، وان يكسب السكان المحليين ، ويزيد من الاختلاط بهم ودمجهم مع العرب ، وعاملهم معاملة حسنة ، كما وجه اهتمامه الى نشر الاسلام بينهم بالاستعانة بالوقود والدعاة ، الذين ارسلوا الى مختلف القبائل المغربية ، فدخل الكثير منهم في الاسلام ، وتم تجنيد اثني عشر الف جندي من السكان المحليين في الجيش العربي الاسلامي ، وفرض لهؤلاء العطاء ومنحوا نصيبا مساويا لما سيأخذه المقاتل ون العرب من الغنائم في العمليات العسكرية اللاحقة [118] ، وهكذا ضمن العرب ولاء السكان المحليين ومساعدتهم في استكمال تحرير بقية اجزاء المغرب من النفوذ البيزنطي ، ومن الاجراءات التي اتخذها حسان بن النعمان الغساني لصد خطر البيزنطيين انشاء مدينة تونس لكي تكون قاعدة للاسطول العربي في شمال افريقيا ، ثم استعان بالايدي العاملة في مصر ، لانشاء صناعة عربية للسفن ، تكون نواة للاسطول العربي في المغرب [119] ، واستطاعت

---

[117] ابن عذاري ، ابو العباس احمد بن محمد المراكشي ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، نشرة / ليدن – 1948م ، ح1 ، ص 20–21.

[118] ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص 201.

[119] المالكي ، رياض النفوس ، ح1 ، ص37.

القوة العربية الجديدة ان تجبر البيزنطيين على اخلاء معظم مواقعهم الحصينة في الشمال الافريقي [120] ، وعين موسى بن نصير على ولاية افريقيا ، فسار على سياسة سلفه التي تقوم على التعاون مع السكان المحليين من جهة والاهتمام بالخطر البيزنطي من جهة اخرى ، فوضع حراسة قوية على السواحل ، ودور بناء السفن ، من اجل منع اية سفينة بيزنطية ، من الرسو على الشواط ئ المحررة[121] ، كما وجه عنايته الى القوة البحرية العربية الجديدة ، التي اصبح لها شأن كبير في هذ ا الوقت ، بحيث استطاع العرب ان يرسلوا حملة بحرية ناجحة الى جزيرة صقلية[122] ، وسار موسى بن نصير لتحرير المناطق الداخلية للمغرب ، كما حرر مدنا عديدة ، اهمها طنجة التي تقع على الطرف الغربي ، من المضيق الذي يفصل بين قارتي افريقيا واوربا ، والذي اطلق عليه مضيق جبل طارق ، وقد قاومت مدينة سبتة ، التي تقع في الطرف الشرقي من المضيق ، والتي كانت ما تزال بيد البيزنطيين ، لكن القائد موسى ، اتفق مع حاكمها جوليان ، ان يظل في منصبه ، مقابل اعترافه بالحكم العربي[123] ، كما اقر العرب زعماء القبائل المحليين في الرئاسة

---

[120] المصدر نفسه ، ح1 ، ص37.

[121] ابن حبيب ، عبد الملك بن حبيب ، استفتاح الاندلس ، تحقيق : محمود علي مكي ، مجلة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ، العدد 5 ، 1957م ، ص 221.

[122] ابن عذاري ، البيان ، ح1 ، ص 42.

[123] ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ -1405م) ، تاريخ ابن خلدون المسمى العبر ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، لبنان ، بيروت ، ص437-438.

بعد اعتناقهم الاسلام مقابل مساهمة كل قبيلة بعدد كاف من المقاتلين للانضمام الى الجيش العربي الاسلامي ، وبهذا نجح موسى بن نصير ، في تعزيز عمليات الفتح خارج المغرب ، والتحرير داخل المغرب ، وقبل ان يعود وضع حامية من جنده ، بقيادة طارق بن زياد الذي عينه عاملا على مدينة طنجة في حدود سنة 90هـ 708م[124] ، ثم غادر موسى مدينة القيروان ، بعد ان انجز تحرير معظم اجزاء المغرب العربي من ليبيا الى المحيط الاطلسي ، ان ما تحقق من انجازات ، خلال فترة الخلافة الاموية في الاجزاء الغربية يدل على قوة الجيش العربي الاسلامي وعظمته ، الذي امتد نفوذه على الاجزاء الاخرى من شبه الجزيرة اللايبيرية (اسبانيا والبرتغال) التي تعد استكمالا لتحرير المغرب العربي ، وثمرة للسياسة الحكيمة التي انتهجها العرب مع السكان المحليين في الشمال الافريقي من قيم الاسلام العظيم ، كالمساواة والعدل ، ومشاركتهم في الفتح والتحرير في اقطار غير المغرب العربي عبر الاندلس .

الخاتمة

يتبين مما سبق اهمية فتح بلاد الشام ومصر وشمال افريقيا ، والتي تعد حدّا فاصلا بين الدولة العربية الاسلامية والدول المجاورة من الروم البيزنطيين ، وقد كانت بداية الفتح قد انطلقت من الشام ، ويعني هذا

---

[124] ابن حبيب ، استفتاح الاندلس ، ص222.

الحرب مع اكبر إمبراطوريتين في العالم آنذاك ، ولا سيما الامبراطورية الرومانية في الغرب ، وكان العرب يعيشون حرارة الجهاد والعقيدة ، ونشر الرسالة الاسلامية السمحاء الى العالم اجمع ، على الرغم من المخاطر التي كانت تحاك وتدور حول المسلمين ، كحروب الردة ، التي اشتد امرها في مختلف انحاء الجزيرة العربية ، ولم يكن ابو بكر (τ) قد انتهى منها في السنة الاولى من خلافته ، حتى حشد كل طاقاته من اجل تحرير العراق والشام ، فكانت هناك عوامل خفية وعلنية تدفع الخليفة الى اتباع هذه السياسة ، و الى حرصه الشديد على التمسك بالمنهج الذي سار عليه الرسول (ε) واستطاع توحيد العرب ، تحت سلطة مركزية موحدة ، واعلاء كلمة الله تعالى في الارض ، وتحسين الاوضاع المعاشية ونشر العدل والمساواة بين الناس ، والعمل بكتابه وسن ة نبيه (ε) ، وتكشف الحقائق التاريخية ان الفتح الاسلامي في الشام والمغرب ، كان نشاطا مستمرا حتى بعد وفاة الرسول (ε) وقد تبين لنا جملة حقائق واستنتاجات منها :ــ

1 -ان المسلمين قوة وارادة لاتلين في اصعب الظروف ، فجمع الخليفة أمرين في آن واحد امر الردة وامر الروم حيث كان الروم ينتهزون الفرصة عند انشغال المسلمين بحروب الردة ، وقد ركّز الخليفة ، جل اهتمامه ، لفتح الشام ، وهذا دليل قاطع على قوة المسلمين وعزمهم على تحدي الظروف الصعبة .

2 -غاية عملية التحرير بسط الامن والاستقرار وبناء الانظمة التي كان بجهلها المسلمين سابقا وتطويرها .

3 - ان الفتح الاسلامي كان خالصا نابعا من عقيدة المسلمين ، ومعبرا عن طموح الامة الاسلامية ، من خلال وضع الاسس الشرعية والمفاهيم الجديدة ، غير القابلة للالتواء ، والابتعاد عن الاقتتال والتمزق والتأكيد على وحدة الاسلام ، بروح يسودها التفاهم والانسجام والمصاهرة ، على الرغم من اختلاف القوميات من عرب وبربر وروم .

4 - ظهور ما يعرف بالثقافات الجديدة ، وهي مزيج من عناصر متعددة ، اسلامية وغير اسلامية ، فرضت نفسها وبقوة على مجتمعات الديانات المتعددة ، والتي كانت في حروب مستمرة قبل الاسلام .

5 - تميز جهود العرب الفاتحين ، بالارتقاء بعملهم وثقافتهم الجديدة في حفظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وظهور مدارس متعددة ، مما جعلها ذات طابع علمي وحضاري وثقافي متميز ، ويعود فضله الى الفتوحات الاسلامية .

6 - توطيد الحكم العربي الاسلامي في تلك البلاد ، واستقرار العرب في الاقاليم المفتوحة ، ونشر مبادئ الاسلام وعقيد ته ، والقضاء على العادات والتقاليد التي لا تنسجم مع ثقافة المجتمع الاسلامي ، مع ضمان حريات الاديان الاخرى ، واحترام ثقافاتهم والعادات والتقاليد الخاصة بهم ، وممارسة حياتهم بشكل طبيعي في ظل المجتمع الاسلامي .

المصادر والمراجع

اولا : المصادر

1 - ابن حبيب ، عبد الملك بن حبيب

استفتاح الاندلس ، تحقيق : محمود على مك ي ، مجلة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ، العدد5 ، سنة 1957م .

2 ابن حوقل ، محمد بن على (ت 467هـ ـ 977م)
صورة الارض ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ـ 1979م .

3 ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ ـ 1405م
)
تاريخ ابن خلدون المسمى العبر ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، لبنان ، بيروت .

4 ابن خياط ، ابو عمرو خليفة بن خياط (ت 240هـ - 854م) ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : اكرم ضياء العمري ، النجف الاشرف 1389 هـ - 1967م .

5 ابن سعد ، ابو عبد الله محمد (ت 230هـ ـ 844م) الطبقات الكبرى ، بيروت ـ 1957م .

6 ابن عبد الحكم ، ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت 257هـ ـ 870م)
فتوح مصر واخبارها ، نشر : جارلس ثوري ، ليدن ، مطبعة بريل - 1920 .

7 ابن عذاري ، ابو العباس احمد بن محمد المراكشي
البيان في اخبار الاندلس والمغرب ، نشر : ليدن ـ 1948م .

8 ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت 571هـ ـ 1175م) ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ، طبعة : عبد القادر بدران ، دمشق ، مطبعة روضة الشام ـ 1329 ـ 1332 هـ 1965م

9 -ابو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم (ت 182هـ 798م) .
الخراج ، المطبعة السلفية ، القاهرة – 1382هـ .
10 -البلاذري ، احمد بن يحيى (ت 279هـ – 892م)
فتوح البلدان ، بيروت ، 1978م.
11 -الحموي ، ياقوت ، شهاب الدين ابو عبد الله (ت 626هـ –1229م)
– معجم البلدان ، لايبزك ، 1896–1873م
– معجم البلدان ، ط2، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1416هـ – 1995م
12 -الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت 748هـ – 1347م)
سير اعلام النبلاء ، تحقيق محب الدين ، ط 1 ، دار الفكر ، بيروت ، 1967م.
13 -الطبري ، محمد بن جرير (ت 310هـ – 922م)
-تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط 4 ، القاهرة ، دار المعارف ، 1119م
-تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، 1384هـ –1964م

14– قدامة ، ابو الفرج قدامة بن جعفر (ت 320هـ–932م)
الخراج وصنع الكتابة ،تحقيق : الدكتور محمد حسين الزبيدي ، بغداد ، دار الحرية 1981م.

15- المالكي ، ابو بكر عبدالله بن محمد
رياض النفوس ، تحقيق: حسين مؤنس ، القاهرة ، 1951م
16- المسعودي ، ابي الحسن علي بن الحسين (ت 346هـ -957م) .
التنبيه والاشراف ، تحقيق : عبد الامير علي مهنا ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، لبنان ، بيروت - 1421هـ -2000م .
17-المقدسي ، ابو عبد الله محمد الشافعي المقدسي ،(ت 387هـ-997م)
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، نشر : دي غوية ، ليدن - 1960م
18-الواقدي ، محمد بن عمر (ت 207هـ -822م) ،
فتوح الشام : تحقيق : عمر ابو النصر ، بيروت - 1966م
19- اليعقوبي ، احمد بن اسحاق بن جعفر بن واضح (ت 292هـ - 904م)
تاريخ اليعقوبي ، تحقيق خليل منصور ، بيروت ، 1423هـ - 2002م .

ثانيا : المراجع

1 -الخضري بك محمد ، اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ، تحقيق وتعليق : ابراهيم امين ، المكتبة التوثيقية ، د. ت .

2 ـ صكبان علي جاسم ، دراسات في التاريخ العربي ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، من خلافة أبي بكر الصديق (τ) حتى سقوط الدولة الاموية ، مكتبة الدار الوطنية ، بغداد ، 1985م .

3 ـ لوبون ، كوستاف ، حضارة العرب ، ترجمة : عادل زعيتر ، القاهرة – 1956م .

4 ـ معروف ، ناجي ، اصالة الحضارة العربية ، مطبعة التضامن ، بغداد – 1389هـ 1969م.